بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

رؤية حول رواية "أن تقتل طائرًا بريئًا"

لهاربر لي

إن هذه الرواية من أجمل الروايات التي قرأتها حتى الآن، وقد أثرت فيّ، وأيضاً غيرت فيّ الكثير من الأمور، وفي طريقة التفكير نحو الآخرين.

تدور أحداث الرواية في بلدة مايكوم حول جريمة اغتصاب غير حقيقية اتهم فيها ظلما أحد الزنوج ويقوم بطل الرواية أتيكوس بالدفاع عنه وتستعرض الرواية الظروف البيئية والاجتماعية لبلدة مايكوم وكذلك تستعرض أفكارهم وعاداتهم والتي تتعارض مع الكثير من مبادئ الأب أتيكوس وتستعرض كذلك طريقته الفريدة في تربية أبنائه، والتي تعتمد على المصارحة والتعامل الهادئ.

إن الرواية تصور انتقال الأطفال من مرحلة البراءة إلى مرحلة المعرفة والفهم،فالطفلان في الرواية يستكشفان العالم المحيط بهما ويستفسران عنه ويسألان أباهم حتى يصلا إلى مرحلة يفهمان فيها أباهم وماذا كان يقصد من أسلوبه، كما أن الرواية تُروى على لسان سكاوت وهي بالغة، وتتذكر أحداث حدثت في طفولتها وتفسرها، وهذا يبين أن الأب أتيكوس نجح في أداء رسالته وتوصيلها إليهم.

أهم خطوط الرواية

أولاً: تسمية الرواية:

في البداية أود أن أعلق على تسمية الرواية "أن تقتل طائراً بريئاً" على أنها لها مغزى في هذه الرواية، فمؤلفة الرواية تشير به إلى " توم روبنسون" ذلك الطائر البريء الذي اتهم ظلماً وعدواناً في جريمة لم يكن له علاقة بها، ولقد أشار أتيكوس لأبنائه أنه من الخطيئة أن تقتل طائراً محاكياً عندما أهدى لأبنائه بنادق ضغط الهواء ورفض أن يعلمهم كيفية التصويب فعلمهم العم جاك مبادئ التصويب وقال إن أتيكوس لم يكن مهتماً بالبنادق، ففي أحد الأيام قال أتيكوس لجيم: "أفضل أن تقوم بالتصويب تجاه العلب الصفيح في الفناء الخلفي ولكني أعلم أنك ستطادر الطيور، بإمكانك اصطياد ماتريده من نوع البلوجاي، هذا إن استطعت إصابتها ولكن تذكر أنها خطيئة أن تقتل طائراً محاكياً" فهو هنا لم يجبر جيم على عدم التصويب على الطيور كما أنه على معرفة بطبيعة ابنه فاكتفى بتقديم النصيحة إليه تاركاً أمر تنفيذها له.

ولقد أكدت كلامه الآنسة مودي عندما حدثتها سكاوت عن معنى الخطيئة التي تكلم عنها أباها فقالت لها أنه من الخطيئة أن نقتل طائراً محاكياً طالما لم يؤذِنا، بل بالعكس فهو يدخل علينا البهجة والسرور بتغريده الرائع والجميل.

ثانياً : بلدة مايكوم:

هي بلدة صغيرة قديمة منهكة ليس بها شيء من التجديد، أفرادها ليس لديهم أي نوع من الطموح نحو شيء، فهم لا يرون أو يتطلعون إلى شيء خارج حدود مايكوم، فهي مقسمة كما يقول "جيم" إلى أربعة أنواع من الناس: "هناك النوع العادي أمثالهم الجيران، وهناك النوع من عائلة كانينجهام الذين يعيشون في الغابات، والنوع من أمثال عائلة يوويل هناك عند مقلب القمامة، والزنوج ".

كما أن معظم أهل هذه البلدة لا يهتمون بتعليم أبنائهم، ومنهم من يكتفي بذهاب أبنائهم اليوم الأول فقط من الدراسة ثم يرحلون، لأن مسئولة الغياب تجبرهم على الحضور لأنها تهددهم بإبلاغ المأمور.

ثالثاً : الآنسة كارولين:

قد لفت نظري أن الآنسة كارولين بالرغم من أنها تتبع نظام "ديوي العشري" الذي كان يعتمد في جانب منه كما تقول "سكاوت" على قيام الآنسة كارولين بالتلويح أمامهم ببطاقات مطبوع عليها كلمات مثل :قط، فأر ..إلخ، إلا أنها أغفلت دور الخبرات السابقة التي قد تهدم أو تبني ماتعلمه لهم، فهي قد طلبت من " سكاوت" أن تقول لأبيها أنه يجب ألا يعلمها شيئا، كما أنها أغفلت أيضا البيئة التي يعيش فيها هؤلاء الأطفال و لم تدرس اهتماماتهم بدليل أنها كانت تحكي لهم قصص تجذب انتباه من هم في مثل عمرهم ولكنها تصيب هؤلاء الأطفال بالملل لأن مثل قصصها لا يؤثر بالشكل المعتاد على أطفال في مثل ظروف أطفال مايكوم.

في دورها كمعلمة أطفال كان يجب أن يكون لديها وعي ببيئة وظروف هؤلاء الأطفال، وخصائص مراحلهم السنية حتى تتحكم في تصرفاتها معهم وتفسر سلوكياتهم والدوافع التي أدت إلى مثل هذه السلوكيات، وتحاول أن تخرج بهم من ظروفهم العائلية والبيئية المليئة بالإجهاد والعمل الشاق.

رابعاً : أتيكوس:

من الشخصيات التي أعجبتني في هذه الرواية هو أتيكوس، ذلك الأب صاحب المبدأ الذي يريد أن يضع أبناؤه صوب الطريق الصحيح، ويكسبهم المبادئ والقيم التي تجعلهم محترمين ليس فقط أمام الآخرين ولكن أيضاً أمام أنفسهم، قد تكون هذه المبادئ تتنافى مع البلدة التي يعيشون فيها، ولكن عليهم أن يلتزموا بهذه المبادئ دون التعصب ضد ما يعارضها وأن يفعلوا الأشياء التي تتوافق مع ما يمليه عليهم ضميرهم، حتى لو تعارضت مع آراء الناس.

فهو يدافع عن إنسان مظلوم سواء كان هذا الإنسان زنجياً أو أبيضاً، وهو "توم روبنسون"، وبصرف النظر عما يقوله أهل البلدة عليه "أنه محب للزنوج"، في ظل ما تشهده بلدة مايكوم من عنصرية تجاه هؤلاء الزنوج، حيث يروهم على أنهم عبيدهم ولا يصح أن يتزوجوا من أبنائهم أو حتى يحضروا أبناءهم معهم في الأماكن التي يعملون بها، حتى أن لهم يوم في الكنيسة مغاير ليوم البيض، رغم أن الرب واحد.

فالزنوج يفهمون ذلك ويعرفون أنه لا فائدة من إصلاح أفكار هؤلاء الناس، كما أن بعض الزنوج لا يحبون البيض وهذا طبيعي كرد فعل، ولذلك انتحر "توم روبنسون" لأنه أحس أن لا فائدة من الدفاع عنه من جانب أتيكوس.

فالبرغم من أن أتيكوس مؤمن بالمساواة ورفع الظلم عن أي إنسان حتى لو كان زنجياً فهو لا يحاول أن يقنع الناس صراحة ولكن له أسلوبه الخاص للإقناع، وهو أن يفعل ما يراه صحيحاً وليس ما يراه الناس.

فهو يرى من الواجب عليه أن يدافع عنه لعدة أسباب، السبب الرئيسي هو أنه لو لم يتولَّ الدفاع عنه فلن يمشي في البلدة مرفوع الرأس ولن يكون قادرًا على تمثيل بلدته في برلمان الولاية وسبب آخر أنه لن يكون أباً حازماً لسكاوت وجيم فهو يرى أن من الأمانة أن يدافع عنه حتى يكون أبا كفءً أمام أبنائه.

قد يكون أتيكوس مثالياً بعض الشيء حيث إنه كان يريد أن يُدخل ابنه في محاكمة ظناً منه أنه قتل السيد يوويل، ولا بد أن يُحاكم حتى لا يكون هناك تناقض لدى ابنه بين ما تربى عليه من قول الحق ورفع الظلم وبين سبيله للنجاة والمتمثل في دفع مبلغ كبير لتخليصه من تلك المشكلة، فهو رجل نقي يصير في طريق مستقيم خالي من التشويهات، واضح أمام الآخرين لا يريد خداع أبنائه.